بإسم الآب والإبن والروح القدس
الإله الواحد
آمين

موقع رب المجد

موقع كاتدرائية العذراء مريم والملاك ميخائيل بالمنصورة

www.Rabelmagd.com

البابا شنوده الثالث

طبيعة المسيح

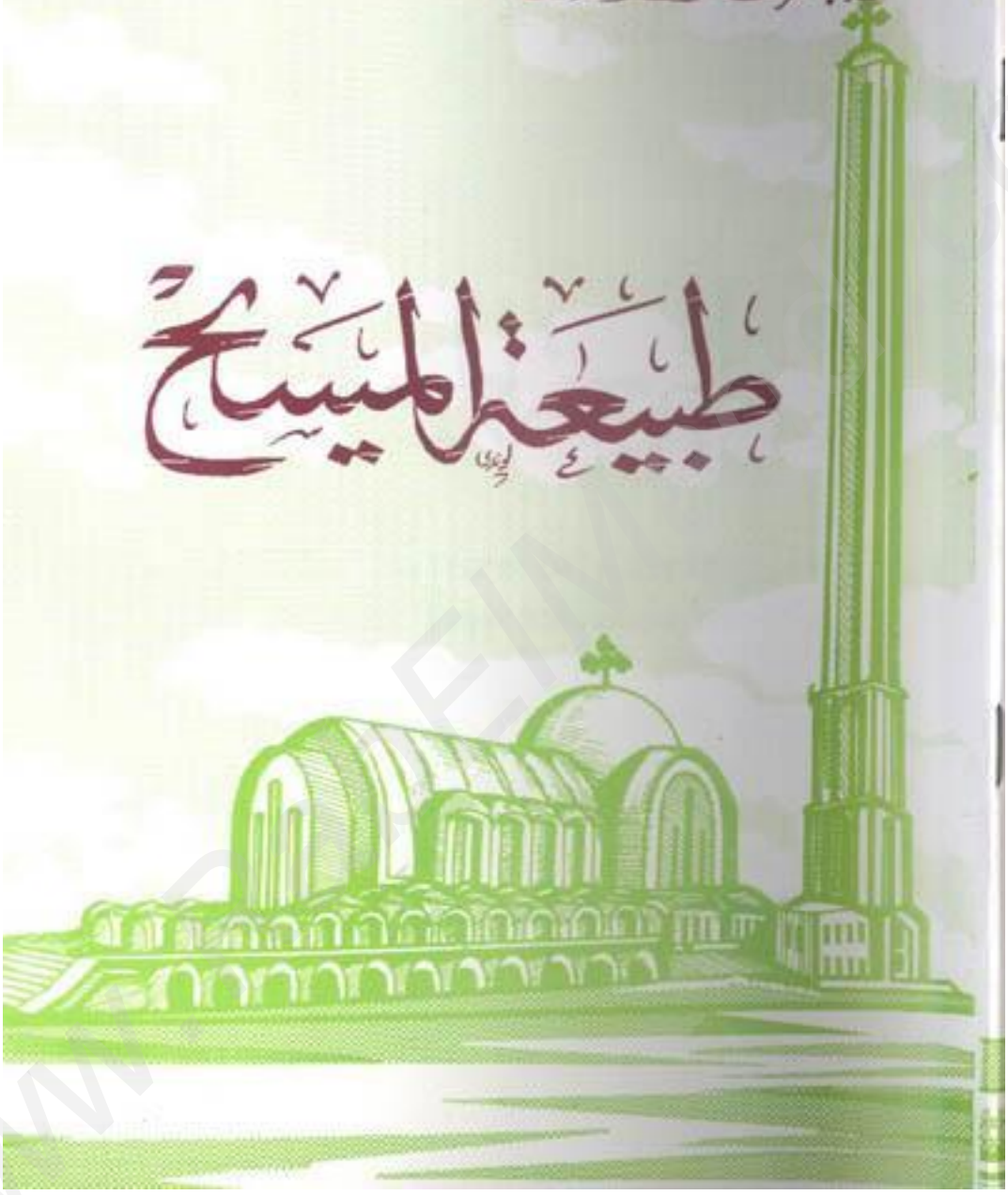

www.agd.com

www.ag.com

www.RabElMagd.com

طبيعة المسيح

The Nature of Christ
By H.H. Pope Shenouda III

www.RobElMagd.com

مقدمة الكتاب

موضوع طبيعة المسيح موضوع هام جداً، كان سبب انقسام خطير في الكنيسة في منتصف القرن الخامس (سنة ٤٥١م). ولما بدأ الحوار اللاهوتي الخاص بوحدة الكنائس، كان لابد من طرق هذا الموضوع. وكان لابد لكنيستنا القبطية الأرثوذكسية أن يكون لها كتاب يعبر عن عقيدتها في هذا الشأن، بلغة تصلح للحوار اللاهوتي.

وقد قمت بتدريس هذا الموضوع لطلبة الإكليريكية في سنة ١٩٨٤ في محاضرات ألقيناها في دير القديس الأنبا بيشوي ببرية شيهيت ضمن مادة اللاهوت المقارن، وقدمت للطلبة كمذكرات تداولوها، ولم تخرج عن هذا النطاق.

ثم ترجمت هذه المذاكرات إلى اللغة الإنجليزية في أوتوا كندا سنة ١٩٨٥، وبقيت متداولة باللغة الإنجليزية فقط لمدة ست سنوات...

وكان لابد أن نطبعها باللغة العربية ليدرسها طلبة الكلية الإكليريكية بفروعها المتعددة، ولمنفعة من يحب الدراسة اللاهوتية من الخدام ومن أفراد الشعب أيضاً...

وكذلك لمن يريد أن يتعرف على عقيدتنا في الـــ Christology من الكنائس الأخرى...

وكان أول حوار لاهوتي لنا في هذا الموضوع في فينا بالنمسا في سبتمبر سنة ١٩٧١م في اجتماع نظمته هيئة Pro Oriente. ووصلنا إلى اتفاق على صيغة لاهوتية وافق عليها إخوتنا الكاثوليك، وإخوتنا من الكنائس الأرثوذكسية الشرقية القديمة: السريان والأرمن والإثيوبيون والهنود. وبخاصة لأنه كان الخلاف منذ القرن الخامس قد شوّه مفهوم كل كنيسة عن الأخرى. وحالياً أصبح الجو ممهداً لمفهوم مشترك...

بعد ذلك تم اتفاقنا رسمياً مع الكنائس الكاثوليكية، بعد ١٧ عاماً (سنة ١٩٨٨) على أساس ما اتفقنا عليه من قبل، في وثيقة مختصرة ننشرها في الصفحة الأخيرة من هذا الكتاب...

وكان لنا حوار آخر مفصل جداً مع إخوتنا من الكنائس الأرثوذكسية البيزنطية في اجتماع حضره علماء اللاهوت في عشرين من الكنائس الأرثوذكسية في العالم، وذلك في دير الأنبا بيشوي ببرية شيهيت سنة ١٩٨٩م، أعقبه اجتماع آخر لممثلي الكنائس الأرثوذكسية من رجال الكهنوت في شامبزي بجينيف سنة ١٩٩٠.

ولما كان من الصالح أن يعرف شعبنا ما هي تفاصيل وإثباتات معتقدنا في طبيعة المسيح، ولما كانت جمعة Pro Oriente ستعقد مؤتمراً دينياً لممثلي جميع الكنائس لإطلاعهم على المعتقد، في أواخر أكتوبر من هذا العام (١٩٩١م). وقد طلبوا منا ورقة نقدمها للحاضرين، ونلقيها كمحاضرة عليهم...

لذلك كله رأينا طبع مذكرات الإكليريكية في سنة ١٩٨٤ لتصدر في كتاب يوزع على ذلك المؤتمر، ويكون في متناول الجميع باللغة العربية إلى جوار الترجمة الإنجليزية.

البابا شنودة الثالث

عقيدة كنيستنا

السيد المسيح هو الإله الكلمة المتجسد، له لاهوت كامل، وناسوت كامل، ولاهوته متحد بناسوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير، اتحاداً كاملاً أقنومياً جوهرياً، تعجز اللغة أن تعبر عنه، حتى قيل عنه إنه سر عظيم ((عظيم هو سر التقوى، الله ظهر في الجسد)) (١ تي ٣: ١٦).
وهذا الاتحاد دائم لا ينفصل مطلقاً ولا يفترق. نقول عنه في القداس الإلهي ((إن لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين)).
الطبيعة اللاهوتية (الله الكلمة) اتحدت بالطبيعة الناسوتية التي أخذها الكلمة (اللوجوس) من العذراء مريم بعمل الروح القدس. الروح القدس طهّر وقدّس مستودع العذراء طهارة كاملة حتى لا يرث المولود منها شيئا من الخطية الأصلية، وكون من دمائها جسداً اتحد به ابن الله الوحيد. وقد تم هذا الاتحاد منذ اللحظة الأولى للحبل المقدس في رحم السيدة العذراء.
وباتحاد الطبيعتين الإلهية والبشرية داخل رحم السيدة العذراء تكونت منهما طبيعة واحدة هي طبيعة الله الكلمة المتجسد.
لم تجد الكنيسة المقدسة تعبيرا أصدق وأعمق وأدق من هذا التعبير. وهو التعبير الذي استخدمه القديس كيرلس الكبير (عامود الدين) والقديس أثناسيوس الرسولي من قبله، وكل منهما قمة في التعليم اللاهوتي على مستوى العالم كله.
حتى إنني حينما اشتركت في حوار أعدته جماعة Pro Oriente في فيينا بالنمسا في سبتمبر ١٩٧١م بين الكاثوليك الرومانيين والكنائس الأرثوذكسية الشرقية القديمة عن طبيعة المسيح، كان موضوع هذا الحوار هو قول القديس كيرلس ((طبيعة واحدة لله الكلمة المتجسد)).
" μια φυσις του θεου λογου σεσαρκωμενη "
وبعد الشقاق الذي حدث سنة ٤٥١م، حيث رفضنا مجمع خلقدونية وتحديداته اللاهوتية، عُرفنا بأصحاب الطبيعة الواحدة Monophysites.

***

وتشترك في هذا الإيمان الكنائس السريانية، والأرمينية، والإثيوبية، والهندية، وهي الكنائس الأرثوذكسية غير الخلقدونية.
بينما الكنائس الخلقدونية الكاثوليكية واليونانية (الروم الأرثوذكس) فتؤمن بطبيعتين للسيد المسيح وتشترك في هذا الاعتقاد أيضاً الكنائس البروتستانتية. ولذلك تعرف كل هذه الكنائس باسم أصحاب الطبيعتين.
وكنائس الروم الأرثوذكس، أو الأرثوذكس الخلقدونيين فتشمل كنائس القسطنطينية، واليونان، وأورشليم، وقبرص، وروسيا، ورومانيا، والمجر، والصرب، وكنائس الروم الأرثوذكس في مصر، ولبنان، وفي أمريكا، وفي دير سانت كاترين بسيناء.... الخ.
وتعبير أصحاب الطبيعة الواحدة Monophysitesأسيء فهمه عن قصد أو غير قصد خلال فترات التاريخ، فاضطهدت بالذات الكنيسة القبطية والكنيسة السريانية اضطهادات مروعة بسبب اعتقادها، وبخاصة في الفترة من مجمع خلقدونية سنة ٤٥١م حتى بدء دخول الإسلام مصر وسوريا (حوالي ٦٤١ م).
واستمر المفهوم الخاطئ خلال التاريخ، كما لو كنا نؤمن بطبيعة واحدة للمسيح وننكر وجود الطبيعة الأخرى.

www.RabElMadina.com

***

فأي الطبيعتين أنكرتها كنيسة الإسكندرية؟.

هل هي الطبيعة اللاهوتية؟. وقد كانت كنيستنا أكثر كنائس العالم دفاعاً عن لاهوت المسيح ضد الأريوسية في مجمع نيقية المسكوني المقدس سنة ٣٢٥م وقيما قبله وما بعده. أم هي الطبيعة الناسوتية؟!. وأقدم كتاب وأعمق كتاب شرحها هو كتاب " تجسد الكلمة " للقديس أثناسيوس الاسكندري!.

***

إنما عبارة " طبيعة واحدة " المقصود بها ليس الطبيعة اللاهوتية وحدها، ولا الطبيعة البشرية وحدها، إنما اتحاد هاتين الطبيعتين في طبيعة واحدة هي (طبيعة الكلمة المتجسد).

وذلك مثلما نتحدث عن الطبيعة البشرية وهي عبارة عن اتحاد طبيعتين هما النفس والجسد. فالطبيعة البشرية ليست هل النفس وحدها، ولا الجسد وحده، إنما اتحادهما معاً في طبيعة واحدة تسمى الطبيعة البشرية. وسنتحدث عن هذا الموضوع بالتفصيل فيما بعد.

***

والقديس كيرلس الكبير علمنا أن لا نتحدث عن طبيعتين بعد الاتحاد.

فيمكن أن نقول أن الطبيعة اللاهوتية اتحدت اقنومياً بالطبيعة البشرية داخل رحم القديسة العذراء. ولكن بعد هذا الاتحاد لا نعود مطلقاً نتكلم عن طبيعتين في المسيح. فتعبير الطبيعتين يوحي بالانفصال والافتراق. ومع أن أصحاب الطبيعتين يقولون باتحادهما، إلا أن نغمة الانفصال كما تبدو واضحة في مجمع خلقدونية، مما جعلنا نرفضه... ونُفي القديس ديسقورس الإسكندري بسبب هذا الرفض...

وإلى أن نشرح بالتفصيل موضوع الطبيعة والطبيعتين في المسيح، نود أن نتعرض قبل ذلك لشرح نقطة هامة وهي:

أشهر الهرطقات

أشهر الهرطقات حول طبيعة المسيح:

١ - هرطقة آريوس:

كان آريوس ينكر لاهوت المسيح، ويرى أنه أقل من الآب في الجوهر، وأنه مخلوق. وما زالت جذور الأريوسية قائمة حتى الآن. حتى بعد أن شجبها مجمع نيقية المسكوني سنة ٣٢٥م، ظل آريوس والأريوسيون من بعده سبب تعب وشقاق وشك للكنيسة المقدسة...

٢ - هرطقة أبوليناريوس:

وكان ينادي بلاهوت المسيح، ولكن لا يؤمن بكمال ناسوته. إذ كان يرى أن ناسوت المسيح لم يكن محتاجاً إلى روح، فكان بغير روح، لأن الله اللوجوس كان يقوم بعملها في منح الحياة.ولما كان هذا يعني أن ناسوت المسيح كان ناقصاً، لذلك حكم مجمع القسطنطينية المسكوني المقدس المنعقد سنة ٣٨١م بحرم أبوليناريوس وهرطقته هذه.

٣ - هرطقة نسطور:

وكان نسطور بطريركاً للقسطنطينية من سنة ٤٢٨م حتى حرمه مجمع أفسس المسكوني المقدس سنة ٤٣١م.

www.RabEIMagd.com

وكان يرفض تسمية القديسة العذراء مريم بوالدة الإله ΘΕΟΤΟΚΟC ، ويرى أنها ولدت إنساناً، وهذا الإنسان حل فيه اللاهوت. لذلك يمكن أن تسمى العذراء أم يسوع. وقد نشر هذا التعليم قسيسه أنسطاسيوس، وأيد هو تعليم ذلك القس وكتب خمسة كتب ضد تسمية العذراء والدة الإله.
ويعتبر أنه بهذا قد أنكر لاهوت المسيح.
وحتى قوله أن اللاهوت قد حل فيه لم يكن بمعنى الاتحاد الأقنومي، وإنما حلول بمعنى المصاحبة.
أو حلول كما يحدث للقديسين.
أي أن المسيح صار مسكناً لله، كما صار في عماده مسكناً للروح القدس. وهو بهذا الوضع يعتبر حامل الله θεοφορος كاللقب الذي أخذه القديس أغناطيوس الانطاكي.
وقال أن العذراء لا يمكن أن تلد الإله، فالمخلوق لا يلد الخالق! وما يولد من الجسد ليس سوى جسد.
وهكذا يرى أن علاقة طبيعة المسيح البشرية بالطبيعة اللاهوتية بدأت بعد ولادته من العذراء، ولم تكن اتحاداً وقال صراحة " أنا أفصل بين الطبيعتين ".
وبهذا الوضع تكون النسطورية ضد عقيدة الكفارة.
لأنه إن كان المسيح لم يتحد بالطبيعة اللاهوتية، فلا يمكن أن يقدم كفارة غير محدودة تكفي لغفران جميع الخطايا لجميع الناس في جميع العصور.

***

والكنيسة حينما تقول أن العذراء والدة الإله، إنما تعني أنها ولدت الكلمة المتجسد، وليس أنها كانت أصلاً للاهوت، حاشا.
فالله الكلمة هو خالق العذراء، ولكنه في ملء الزمان حل فيها، وحبلت به متحداً بالناسوت وولدته.
والاثنا عشر حرماً التي وضعها القديس كيرلس Anathemas، فيها ردود على كل هرطقات نسطور.
فقد حرم من قال أن الطبيعتين كانتا بطريق المصاحبة، ومن قال إن الله الكلمة كان يعمل في الإنسان يسوع، أو أنه كان ساكناً فيه. كما حرم من فرق بين المسيح وكلمة الله، وأنه ولد كإنسان فقط من امرأة.

٤ - هرطقة أوطاخي:

كان أوطاخي (يوطيخوس) أب رهبنة ورئيس دير بالقسطنطينية. وكان ضد هرطقة نسطور. فمن شدة اهتمامه بوحدة الطبيعتين في المسيح – وقد فصلهما نسطور – وقع في بدعة أخرى. فقال إن الطبيعة البشرية ابتلعت وتلاشت في الطبيعة الإلهية، وكأنها نقطة خل في المحيط. وهو بهذا قد أنكر ناسوت المسيح.
أوطاخي هذا حرمه القديس ديسقورس. وعاد فتظاهر بالإيمان السليم، فحالله القديس ديسقورس على أساس رجوعه عن هرطقته. ولكنه بعد ذلك أعلن فساد عقيدته مرة أخرى فحرمه مجمع خلقدونية سنة ٤٥١م كما حرمته الكنيسة القبطية أيضاً.

٥ - مجمع خلقدونية:

على الرغم من أن مجمع أفسس المسكوني المقدس قد حرم نسطور، إلا أن جذور النسطورية قد امتدت إلى مجمع خلقدونية الذي ظهر فيه انفصال الطبيعتين حيث قيل فيه أن المسيح اثنان إله وإنسان: الواحد يبهر بالعجائب والآخر ملقى للشتائم والإهانات.
هكذا قال لاون (ليو) Leoأسقف رومه في كتابه المشهور بطومس لاون الذي رفضته الكنيسة القبطية.
ولكن أخذ به مجمع خلقدونية، الذي أعلن أن هناك طبيعتين في المسيح بعد الاتحاد: طبيعة لاهوتيه تعمل ما يختص بها، وطبيعة ناسوتية تعمل ما يختص بها.
قال نسطور أن هاتين الطبيعتين منفصلتان. وقال مجمع قرطاجنة أنهما متحدتان ولكنه فصلهما بهذا الشرح.
وكما قرر أن المسيح له طبيعتان، قرر أيضاً أن له مشيئتين وفعلين.

ومن هنا نشأت مشكلة الطبيعتين والمشيئتين، وبدأ صراع لاهوتي، وانشقاق ضخم في الكنيسة، نحاول حالياً إنهاؤه بالوصول إلى صيغة إيمان مشترك يقبله الجميع...

طبيعة الاتحاد

اتحاد بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير ولا استحالة:

المقصود أن وحدة الطبيعة هي وحدة حقيقية. ليست اختلاطاً مثل اختلاط القمح بالشعير، ولا امتزاجاً، مثل مزج الخمر بالماء أو مزج اللبن بالماء. كما لم يحدث تغيير مثل الذي يحدث في المُركبّات، فمثلاً ثاني أكسيد الكربون في كربون وأكسجين، وقد تغير طبع كل منهما في هذا الاتحاد وفقد خاصيته التي كانت تميزه قبل الاتحاد، بينما لم يحدث تغيير في اللاهوت ولا في الناسوت باتحادهما. كذلك تمت الوحدة بين الطبيعتين بغير استحالة.

فما استحال اللاهوت إلى ناسوت، ولا استحال الناسوت إلى لاهوت، كما أن اللاهوت لم يختلط بالناسوت، ولا امتزج به، إنما هو اتحاد، أدى إلى وحدة في الطبيعة.

***

مثال اتحاد الحديد والنار:

وقد استخدمه القديس كيرلس الكبير، واستخدمه أيضا القديس ديسقورس. ففي حالة الحديد المحمى بالنار، لا نقول هناك طبيعتان: حديد ونار، وإنما نقول حديد محمى بالنار، كما نقول عن طبيعة السيد المسيح إله متأنس، أو إله متجسد، ولا نقول إنه اثنان إله وإنسان.

وفي حالة الحديد المحمى بالنار لا توجد استحالة. فلا الحديد يستحيل إلى نار، ولا النار تستحيل إلى حديد.

ولكنهما يتحدان معاً بغير اختلاط ولا امتزاج. وإن كان هذا الحال ليس إلى دوام، وهنا نقطة الخلاف. غير أننا نقصد التشبيه بالحديد في حالة كونه محمى بالنار، وله كل خواص النار وكل خواص الحديد.

وكذلك كانت طبيعة الكلمة المتجسدة واحدة، ولها كل خواص اللاهوت وكل خواص الناسوت.

***

مثال اتحاد النفس والجسد:

وقد استخدم هذا التشبيه القديس كيرلس عامود الدين، والقديس أوغسطينوس، وعدد كبير من علماء اللاهوت القدامى والحديثين.

وفي هذا المثال تتحد طبيعة النفس الروحانية، بطبيعة الجسد المادية الترابية، ويتكون من هذا الاتحاد طبيعة واحدة هي الطبيعة البشرية.

هذه الطبيعة التي ليست هي الجسد وحده، ولا النفس وحدها، وإنما هما الاثنان معاً متحدين بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير ولا استحالة. فما استحالت النفس إلى جسد، ولا استحال الجسد إلى نفس، ومع ذلك صار الاثنان واحداً في الجوهر وفي الطبيعة، بحيث نقول إن هذه طبيعة واحدة وشخص واحد.

فإن كنا نقبل مثال اتحاد النفس والجسد في طبيعة واحدة، فلماذا لا نقبل اتحاد اللاهوت والناسوت في طبيعة واحدة؟!

هنا ونطرح سؤالاً هاماً بالنسبة إلى تعبير طبيعة واحدة وتعبير طبيعتين:

www.RabEMagd.com

ألا نعترف كلنا أن هذه التي نسميها طبيعة بشرية، كانت فيه قبل الاتحاد طبيعتين: هما النفس والجسد. ومع ذلك فالذين يستخدمون تعبير (الطبيعتين) اللاهوتية والبشرية، لا يتكلمون عن طبيعة النفس وطبيعة الجسد، إنما عن طبيعة واحدة بشرية في المسيح. فإن كان لابد من التفصيل، فإن هذا سيؤدي إلى أن في المسيح ثلاث طبائع!!! هي اللاهوت، والنفس، والجسد، وكل من هذه الطبائع له كيانه الخاص وجوهره الخاص... وطبعاً لا يقبل أحد هذا الكلام، لا هذا الجانب ولا ذاك.
أما إن قبلنا اتحاد النفس والجسد في طبيعة واحدة في المسيح، واستخدمنا هذا التعبير لاهوتياً، فإنه يكون من السهل علينا إذن أن نستخدم عبارة طبيعة واحدة للمسيح أو طبيعة واحدة لله الكلمة المتجسد....
وكما أن الطبيعة البشرية يمكن أن يقال عنها أنها طبيعة واحدة من طبيعتين، كذلك نقول عن الكلمة المتجسد أنه طبيعة واحدة من طبيعتين.
فإن قيل إن طبيعة اللاهوت مغايرة لطبيعة الناسوت، فكيف يتحدان، نقول أيضاً أن طبيعة النفس هي كذلك مغايرة لطبيعة الجسد، وقد اتحدت معه في طبيعة واحدة هي الطبيعة الإنسانية.

***

ومع أن الإنسان تكون من هاتين الطبيعتين، إلا أننا لا نقول عنه مطلقاً أنه اثنان، بل إنسان واحد. وكل أعماله ننسبها إلى هذه الطبيعة الواحدة.
وليس إلى النفس فقط، ولا إلى الجسد فقط. فنقول أكل فلان أو جاع أو تعب أو نام أو تألم ولا نقول إن جسد فلان هو الذي أكل أو جاع أو تعب أو نام أو تألم.
والمفهوم طبعاً أنه جاع أو نام بالجسد... لكننا ننسب هذا الأمر إلى الإنسان كله، وليس إلى جسده فقط...
كذلك كل ما كان يفعله المسيح كان ينسب إله كله، وليس إلى لاهوته واحده أو إلى ناسوته وحده.
كما قال لاون في مجمع خلقدونية. وسنشرح هذه النقطة بالتفصيل فيما بعد إن شاء الله...

***

إن إتحاد النفس والجسد، هو اتحاد ذاتي جوهري حقيقي، **اتحاد اقنومي، كذلك اتحاد الطبيعة الإلهية للمسيح بالطبيعة البشرية في رحم العذراء، هو اتحاد اقنومي، ذاتي جوهري حقيقي. وليس مجرد اقتران أو مصاحبة كما يزعم نسطور.**
ومع أن مثال وحدة النفس والجسد في الطبيعة البشرية هو مثال شامل في أوجه شتى، هي التي قصدناها وحدها، إلا أن هذا التشبيه فيه نقطة نقص، هي إمكانية انفصال النفس عن الجسد بالموت، وعودتها إليه بالقيامة. أما وحدة الطبيعة بين اللاهوت والناسوت في المسيح، فهي واحدة بغير انفصال. فلم ينفصل لاهوته عن ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين.

وحدة الطبيعة في الميلاد

من الذي ولدته العذراء؟ هل ولدت إلهاً فقط؟ أم ولدت إنساناً فقط؟ أم ولدت إلهاً وإنساناً ؟ أم ولدت الإله المتجسد؟
من المستحيل أن تكون قد ولدت إلهاً فقط، لأنها ولدت طفلاً رآه الكل. ولا يمكن أن تكون ولدت إنساناً فقط، لأن هذه هي هرطقة نسطور! ثم ما معنى قول الكتاب ((الروح القدس يحل عليك، وقوة العي تظللك. فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله)) (لو ١: ٣٥)؟ وما معنى أن ابنها يدعى عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا (متى ١: ٢٣)؟ وما معنى قول اشعياء النبي ((لأنه يولد لنا ولد، ونعطى ابناً، وتكون الرئاسة على كتفه، ويدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً، أباً أبدياً رئيس السلام)) (اش ٩: ٦). إذن هو لم يكن مجرد إنسان، وإنما كان ابن الله وعمانوئيل وإلهاً قديراً.

والعذراء أيضاً لم تلد إنساناً وإلهاً، وإلا كان لها ابنان: الواحد منهما إله، والآخر منهما إنسان. لم يبق إلا أنها ولدت الإله المتجسد.

إن المسيح ليس ابنين، أحدهما ابن لله المعبود، والآخر إنسان غير معبود.
ونحن لا نفصل بين لاهوته وناسوته. وكما قال القديس أثناسيوس الرسولي عن السيد المسيح ((ليس هو طبيعتين نسجد للواحدة، ولا نسجد للأخرى، بل طبيعة واحدة هي الكلمة المتجسد، المسجود له مع جسده سجوداً واحداً)).
ولذلك فإن شعائر العبادة لا تقدم للاهوت وحده دون الناسوت، إذ لا يوجد فصل، بل العبادة هي لهذا الإله المتجسد.
إن السيد المسيح هو الابن الوحيد المولود من جوهر الآب قبل كل الدهور، وهو نفسه ابن الإنسان الذي صار بكراً وسط أخوة كثيرين (رو ٨: ٢٩). وكما قال عنه أحد الآباء إنه ولد من الآب قبل كل الدهور بغير أم، وولد من العذراء، في ملء الزمان بغير أب.
ولذلك قال الرسول ((لما جاء ملء الزمان، أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة تحت الناموس)) (غل ٤: ٤٠).
إذن الذي ولد من العذراء هو ابن الله، وفي نفسي الوقت هو ابن الإنسان كما قال عن نفسه.
إن الابن (اللوجوس) قد حل في بطن القديسة العذراء، وأخذ له ناسوتاً منها، ثم ولدته. وليس مثلما يقول نسطور إن العذراء قد ولدت إنساناً عادياً، وهذا الإنسان سكن فيه الله فيما بعد، أو حل فيه، أو صار حاملاً لله دون اتحاد طبيعي اقنومي.

***

ولذلك فنحن نقدم العبادة لهذا المولود.
ونقول له في تسبحة الثلاث تقديسات ((قدوس الله، قدوس القوي، قدوس الحي الذي لا يموت، الذي ولد من العذراء ارحمنا)). كما قال الملاك ((القدوس المولود منك يدعى ابن الله.)).
لقد اتحدت في المسيح الطبيعة الإلهية بالطبيعة البشرية في بطن العذراء.
لذلك حينما زارت العذراء اليصابات قالت لها تلك القديسة العجوز: ((**من أين لي هذا، أن تأتي أم ربي إليَّ**)) (لو ١: ٤٣).
وكانت مريم حبلى ولم تلد بعد، ودعيت أم الرب.
ويقول قانون الإيمان عنه ((نؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد، المولود من الآب قبل كل الدهور.... الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء وتأنس وصلب عنا... وتألم وقبر وقام...))

***

إذن ابن الله الوحيد هذا هو الذي نزل من السماء وتجسد، فالمركز الأصلي له هو لاهوته الذي نزل في بطن العذراء وتجسد.
وليس كما يقول نسطور أن أصله إنسان ثم سكن فيه الله بعد ولادته!! الذي تجسد أصلاً هو ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور.
ولذلك استطاع أن يقول ((قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن)) (يو ٨: ٥٨).
والذي قال هذا هو يسوع المسيح وهو يكلم اليهود. ولم يقل لاهوتي كائن قبل إبراهيم، وإنما قال أنا كائن مما يدل على وحدة الطبيعة فيه.

إمكانية الوحدة

إن هذه الوحدة بين الطبيعة الإلهية والطبيعة الناسوتية أمر ممكن، وإلا ما كان ممكناً أن تتم. إنها أمر كان في علم الله منذ الأزل. كان يعرفه ويدبره بسابق علمه بما يحتاجه الإنسان من خلاص. ولذلك قال القديس بولس الرسول عن تجسد الرب يسوع: ((السر الذي كان مكتوما في الأزمنة الأزلية. ولكن ظهر الآن وأعلم به جميع الأمم)) (رو ١٦: ٢٥).

بل إن أحد الآباء فيما تأمل في قول الكتاب ((ما لم تره عين ولم تسمع به أذن ولم يخطر على بال إنسان، ما أعده الله للذين يحبونه)) (١ كو ٢: ٩). وهي عبارة تقال عن النعيم الأبدي... هذا الأب قال هذا الذي لم يخطر على قلب بشر، أن يصير الله إنساناً ويصلب ويموت لأجلنا، لكي يفتدينا ويشترينا بدمه.

وقال أب آخر إن حضور الله في خليقته يكون بثلاثة أنواع: إما حضور عام بحكم وجوده الإلهي في كل مكان، أو حضور بنعمته في قديسيه. أما النوع الثالث الفريد الذي لم يحدث سوى مرة واحدة. فهو وحدته باقنومه في المسيح، حينما اتحدت طبيعته الإلهية بطبيعة بشرية في رحم العذراء

***

طبيعة واحدة للكلمة المتجسد:

إنها طبيعة واحدة ولكن لها كل خواص الطبيعتين:

كل خواص اللاهوت وكل خواص الناسوت. فيها الناسوت لم يصر لاهوتاً، بل ظل ناسوتاً، ولكنه ناسوت الله الكلمة. والكلمة لم يتحول إلى ناسوت، بل بقي كما هو إلهاً، ولكن متحداً بجسد، لاهوته غير مائت، وناسوته قابل للموت.وقد اتحد اللاهوت مع الناسوت في الجوهر وفي الاقنوم وفي الطبيعة، بدون انفصال.

ولم يحدث انفصال بين اللاهوت والناسوت في موت المسيح.

وكما نقول في القسمة السريانية عن موته ((انفصلت نفسه عن جسده.))،وته لم ينفصل قط عن نفسه ولا عن جسده.))، وهكذا نفسه وهي متحدة باللاهوت ذهبت إلى الجحيم، لتبشر الراقدين على الرجاء... وتفتح لهم باب الفردوس، وتدخلهم فيه. وبقي جسده في القبر متحداً باللاهوت.

وفي اليوم الثالث أتت نفسه المتحدة بلاهوته، لتتحد بجسده المتحد بلاهوته وهكذا صارت القيامة.

وأمكن للإله المتجسد القائم من الأموات، **أن يخرج من القبر وهو مغلق وعليه حجر عظيم. وأمكن أن يدخل على التلاميذ والأبواب مغلقة** (يو ٢٠: ١٩).

فهل دخل من الأبواب المغلقة بلاهوته أم بناسوته؟ أليس هذا دليلاً على وحدة الطبيعة. ومن هذا الذي خرج من القبر؟ أهو لاهوته أم ناسوته، أم هو المسيح الكلمة المتجسد؟

إننا لا نتحدث هنا عن طبيعتين منفصلتين: إله، وإنسان. فهذا التعبير يدل على اثنين لا واحد. وتعبير اثنين لا يدل مطلقاً على اتحاد.

فالاتحاد لا يقسم إلى اثنين.

وأنا أحب أن أستخدم عبارة الاتحاد للتكلم عن الذي حدث في بطن العذراء. أما بعد ذلك فنسميها وحدة الطبيعة. كذلك تعبير اثنين يوحي بالانفصال وإمكانيته.

أهمية الوحدة للكفارة والفداء

إن الإيمان بطبيعة واحدة للكلمة المتجسد، **هو أمر لازم وجوهري وأساسي للفداء**. فالفداء يتطلب كفارة غير محدودة، تكفي لمغفرة خطايا غير محدودة، لجميع الناس في جميع العصور. ولم يكن هناك حل سوى تجسد الله الكلمة ليجعل بلاهوته الكفارة غير محدودة.

فلو أننا تكلمنا عن طبيعتين منفصلتين. وقامت الطبيعة البشرية بعملية الفداء وحدها. لما كان ممكناً على الإطلاق أن تقدم كفارة غير محدودة لخلاص البشر. ومن هنا كانت خطورة المناداة بطبيعتين منفصلتين، تقوم كل منهما بما يخصها.

ففي هذه الحالة، موت الطبيعة البشرية وحدها لا يكفي للفداء.

ولذلك نرى القديس بولس الرسول يقول:

((**لأنهم لو عرفوا لما صلبوا رب المجد**)) (**١ كو ٢**: ٨).

ولم يقل لما صلبوا الإنسان يسوع المسيح. إن تعبير رب المجد هنا يدل دلالة أكيدة على وحدة الطبيعة ولزومها للفداء والكفارة والخلاص. لأن الذي صلب هو رب المجد. **طبعاً صلب بالجسد، ولكن الجسد كان متحداً باللاهوت في طبيعة واحدة**. وهنا الأمر الأساسي اللازم للخلاص.

***

ويقول القديس بطرس الرسول لليهود ((أنكرتم القدوس البار وطلبتم أن يوهب لكم رجل قاتل. **ورئيس الحياة قتلتموه**)) (أع ٣: ١٤، ١٥).

وهنا أشار إلى أن المصلوب كان رئيس الحياة، وهذا تعبير إلهي، فلم يفصل الطبيعتين مطلقاً في موضوع الصلب لأهمية وحدتهما من أجل عمل الفداء.

***

ويقول القديس بولس الرسول أيضاً في رسالته إلى العبرانيين ((لأنه لاق بذاك الذي من أجله الكل وبه الكل، وهو آت بأبناء كثيرين إلى المجد، **أن يكمل رئيس خلاصهم بالآلام**)) (**عب ٢**: ١٠).

وهنا في مجال آلامه، لم ينس مطلقاً لاهوته، إذ أنه من أجله الكل، وبه الكل.

هذا الذي قال عنه في موضع آخر ((الكل به وله قد خلق)) (كو ١: ١٦).

***

والسيد المسيح نفسه حينما ظهر ليوحنا الرائي قال له:

((**أنا هو الأول والآخر والحي وكنت ميتاً**)).

((وها أنا حي إلى أبد الآبدين آمين. ولي مفاتيح الهاوية والموت)) (رؤ ١: ١٧، ١٨).

فهذا الذي كان ميتا هو الأول والآخر، وبيده مفاتيح الهاوية والموت.

هكذا لم يفصل لاهوته عن ناسوته هنا وهو يتحد عن موته.

***

إذن فالذي مات هو رب المجد، ورئيس الحياة، ورئيس الخلاص، و أيضاً الأول والآخر.

***

إنها خطورة كبيرة على خلاصنا أن نفصل ما بين الطبيعتين أثناء الحديث عن موضوع الخلاص. ولعل البعض يقول: ومن هذا الذي فصل؟! أليس مجمع خلقدونية يقول بطبيعتين متحدتين؟!، نعم

يقول هذا. ويقول معه طومس لاون أيضاً: إن المسيح اثنان إله وإنسان، الواحد يبهر بالعجائب، والثاني ملقى للإهانات والآلام..!
فإن كان هذا الإنسان وحده هو الملقى للآلام، فأي خلاص إذن نكون قد أخذناه؟! هنا ونفحص موضوع:

الطبيعة الواحـــدة والآلام

حقاً إن اللاهوت غير قابل للآلام. ولكن الناسوت حينما وقع عليه الألم، كان متحداً باللاهوت.
فنسب الألم إلى هذه الطبيعة الواحدة غير المحدودة. ولذلك نرى أن قانون الإيمان الذي حدده مجمع نيقية المقدس يقول إن ابن الله الوحيد، نزل من السماء، وتجسد **وتأنس وصلب عنا على عهد بيلاطس وتألم وقبر وقام**... فرق كبير بين أن نقول إن الناسوت وحده منفصلاً عن اللاهوت قد تألم، وبين أن نقول إن الابن الوحيد تجسد وصلب وتألم وقبر وقام. هنا فائدة الإيمان بالطبيعة الواحدة التي تعطي الفداء فاعليته غير المحدودة.
فهل تألم اللاهوت إذن ؟
نقول إنه بجوهره غير قابل للألم... ولكن المسيح تألم بالجسد، وصلب بالجسد. ونقول في قطع الساعة التاسعة ((يا من ذاق **الموت بالجسد** في وقت الساعة التاسعة...)).
مات بالجسد، الجسد المتحد باللاهوت. فصار موته يعطي عدم محدودية للكفارة.
وقد قدم لنا الآباء مثالاً جميلاً لهذا الموضوع وهو الحديد المحمى بالنار.
مثال اللاهوت المتحد بالناسوت: فقالوا إن المطرقة وهي تطرق الحديد إنما تضرب الحديد المحمى بالنار فتقع على الاثنين. ولكن الحديد يتثنى (يتألم) بينما النار لا يضرها الطرق بشيء. ومع ذلك فهي متحدة بالحديد أثناء طرقه.
وفي صلب المسيح يقدم لنا الكتاب آية جميلة جداً في حديث القديس بولس الرسول مع أساقفة أفسس حيث يقول ((**لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه**)) (أع ٢٠: ٢٨).
ونسب الدم هنا إلى الله، بينما الله روح، والدم هو دم ناسوته. ولكن هذا التعبير يدل دلالة عجيبة جداً على الطبيعة الواحدة للكلمة المتجسد، حتى أن ما يتعلق بالناسوت يمكن أن ينسب في نفس الوقت للاهوت، بلا تفريق إذ لا يوجد انفصال بين الطبيعتين.
إن انفصال الطبيعتين الذي نادى به نسطور لم يستطع أن يقدم حلاً لموضوع الكفارة والفداء. وقد حرصت الكنيسة على تعبير الطبيعة الواحدة من أجل أهمية هذا الموضوع، كما لباقي النتائج المترتبة على وحدة الطبيعة.
ونحن في التعبيرات العادية نقول فلان مات، ولا نقول جسده فقط قد مات، إن كانت روحه على صورة الله وهبها الله نعمة الخلود... والروح لا تموت.

***

وإن كان الهدف الأول من التجسد هو الفداء. والفداء لا يمكن أن يتم عن طريق الطبيعة البشرية وحدها، إذن الإيمان بطبيعة واحدة للكلمة المتجسد هو أمر جوهري لا يستطيع أحد أن ينكره. ولا يمكن أن يتم الفداء إن قلنا أن الناسوت وحده هو الذي له الآلام والصليب والدم والموت. انظر إلى الكتاب كيف يقول عن الله الآب:
((**الذي لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين**)) (رو ٨: ٣٢).
وقوله أيضاً ((هكذا أحب الله العالم **حتى بذل ابنه الوحيد**، لكي لا يهلك كل من يؤمن به)) (يو ٣: ١٦). ويقول أيضاً ((هو أحبنا **وأرسل ابنه كفارة لخطايانا**)) (١يو٤: ١٠).

***

إذن فالذي بذله الآب هو الابن، والابن الوحيد، أي الاقنوم الثاني، الكلمة...
ولم يقل بذل ناسوته أو أي شيء من هذا القبيل، مع أنه مات على الصليب بالجسد ولكن هذا دليل كبير على وحدة طبيعة الله الكلمة، وأيضاً أهمية هذه الوحدة من أجل عمل الفداء.

ويقول أيضاً في هذا المجال عن الله الآب، الذي أنقذنا من سلطان الظلمة، ونقلنا إلى **ملكوت ابن محبته، الذي لنا فيه الفداء بدمه غفران الخطايا**، الذي هو صورة الله غير المنظور...)) (كو ١: ١٣ – ١٥).
حينما يتحدث عن مغفرة الخطايا بدم المسيح، ينسب هذا إلى الابن الذي هو صورة الله غير المنظور الذي له الملكوت. وهذا دليل آخر على وحدة الطبيعة واهتمام الكتاب بها في موضوع الفداء.

***

ومثال آخر مشابه، ظهر في حديث المسيح عن الكرامين الأردياء. يقول إن صاحب الكرم أرسل أخيراً ابنه لهؤلاء الكرامين.
((فلما رأوا الابن... أخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه)) (متى ٢١: ٣٧ – ٣٩).
وهنا ينسب الموت إلى الابن، ولم يقل إلى ناسوته. فما أعمق هذا الكلام عن الطبيعة الواحدة.
ويعوزنا الوقت إن تحدثنا عن باقي الأمثلة. نكتفي بهذا الآن.

***

في كل هذه الأمثلة نرى أن الكتاب – وعلى لسان السيد المسيح نفسه – لا يفصل مطلقاً بين طبيعة المسيح ناسوتياً أو لاهوتياً، إنما يتكلم عنها كطبيعة واحدة ما يقوله عن ابن الله، هو ما يقوله عن ابن الإنسان.

تعبير ابن الإنسان

استخدام عبارة ابن الإنسان في مناسبات تدل على اللاهوت:
لا شك أن عبارة ابن الإنسان تعبر عن ناسوت المسيح، كما أن عبارة ابن الله تدل على لاهوته. ومع ذلك فان السيد المسيح استخدم عبارة ابن الإنسان في مواضع كثيرة نذكر منها:
١ - شرح أن ابن الإنسان موجود في السماء وعلى الأرض:
وذلك في قوله لنيقوديموس ((ليس أحد صعد إلى السماء، إلا الذي نزل من السماء، ابن الإنسان الذي هو في السماء)) (يو ٣: ١٣).
فمن هو هذا ابن الإنسان الذي نزل من السماء؟ والذي هو في السماء ويكلم نيقوديموس على الأرض؟ أهو الطبيعة الإلهية أم الطبيعة البشرية؟ لا يمكن أن يكون هو إلاّ الكلمة المتجسد. فهذه العبارة واضحة جداً في إثبات الطبيعة الواحدة.

***

٢ - وقال ((إن ابن الإنسان هو رب السبت أيضاً)) (متى ١٢: ٨).
فإن كان تعبير ابن الإنسان يعني الطبيعة البشرية، وفي نفس الوقت هو رب السبت أي الله، إذن فقد اجتمع اللاهوت والناسوت معاً في تعبير واحد. وهذا دليل على وحدة الطبيعة.

***

٣ - قال إن ابن الإنسان له سلطان على الأرض ويغفر الخطايا (متى ٩: ٦).
بينما لا يغفر الخطايا إلا الله وحده. فهل الذي قال للمفلوج ((مغفورة لك خطاياك)) هو الناسوت أم اللاهوت ؟ أليس حسناً نقول أنه الكلمة المتجسد ؟!.
٤ - قال إن ابن الإنسان هو الذي سيدين العالم.

فهل الطبيعة البشرية هي التي ستدين العالم أم اللاهوت؟ يقول إن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته. وحينئذ يجازي كل واحد بحسب عمله (متى ١٦: ٢٧).
نلاحظ هنا أنه:
يقول ابن الإنسان وفي نفس الوقت يقول ((في مجد أبيه)).
أي يجمع بين كونه ابن الإنسان وابن الله في عبارة واحدة، مما يدل على وحدة الطبيعة. ويقول ابن الإنسان مع ملائكته بينما تعبير ملائكته يدل على لاهوته.
وهكذا نرى هنا أن تعبير ابن الإنسان، لا يمكن أن يدول على الطبيعة الإنسانية وحدها، ولا على الطبيعة اللاهوتية وحدها.
وإنما على وحدة الطبيعة أي الطبيعة الواحدة التي للكلمة المتجسد.
***
٥- ونفس التعبير نجده في (متى ٢٥: ٣١ – ٣٤) ((ومتى جاء ابن الإنسان في مجده، وجميع الملائكة والقديسين معه، فحينئذ يجلس على **كرسي مجده**... ويقيم الخراف عن يمينه، والجداء عن اليسار. ثم يقول الملك للذين عن يمينه. تعالوا إليّ يا مباركي أبي رثوا الملك المعد لكم منذ تأسيس العالم))
هنا ابن الإنسان، وأبي في عبارة واحدة.
أي أن المتكلم هو ابن الإنسان، وهو ابن الله في نفس الوقت. وابن الإنسان هو الذي سيدين العالم، بينما الدينونة هي للابن ابن الله (يو ٥: ٢٢). وهنا وحدة الطبيعة واضحة.
***
٦- وقال لرئيس الكهنة (في محاكمته) ((من الآن تبصرون **ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة، وآتياً على سحاب السماء**)) (متى ٢٦: ٦٣ – ٦٥).وفي ذلك قال القديس اسطفانوس وقت استشهاده ((ها أنا أنظر السماء مفتوحة، **وابن الإنسان قائم عن يمين الله**)) (أع ٧: ٥٦).
فمن القائم عن يمين الله؟ والجالس عن يمين القوة ، والآتي على سحاب السماء؟ هو الطبيعة البشرية أم الطبيعة اللاهوتية؟
لا نستطيع هنا أن نفصل أو نميز، بل نقول أنها الطبيعة الواحدة طبيعة الكلمة المتجسد.
***
٧- **وهو كابن الإنسان يدعو الملائكة ملائكته، والمختارين مختاريه.**
إذ يقول ((يبصرون ابن الإنسان آتياً على سحاب السماء بقوة ومجد كثير، فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت، فيجمعون مختاريه...)) (متى ٢٤: ٢٩ – ٣١).
وهنا ابن الإنسان يتصرف كإله ولا نستطيع في هذه العبارة أن نقول هنا الطبيعة البشرية وهنا الطبيعة الإلهية. فالمتكلم هو يسوع ابن مريم، والمتكلم في نفس الوقت هو ابن الله ديان الأرض كلها، الذي له سلطان على الملائكة يرسلهم. وله سلطان على البشر يجمع مختاريه من أقصاء السماوات إلى أقصائها. إنها طبيعة واحدة لا فصل فيها.
***
٨- قال السيد المسيح أيضاً في حديثه مع تلاميذه:
((فإن رأيتم ابن الإنسان صاعداً حيث كان أولاً)) (يو ٦: ٦٢).
المهم هنا في عبارة (حيث كان أولاً). أي أنه كان أولاً في السماء. والمعروف طبعاً أن الذي كان في السماء هو أقنوم الابن. ولكن هنا لوحدة الطبيعة يقول عن ابن الإنسان، ما يقوله عن اقنوم الكلمة، لأنه هو الكلمة المتجسد.
وهذا يطابق أيضاً قوله لنيقوديموس عن ابن الإنسان، إنه هو الذي نزل من السماء (يو ٣: ١٣)، بينما الذي نزل من السماء هو أقنوم الابن أي اللاهوت.

***

وبنفس هذا المعنى يقول بولس عن السيد المسيح إنه ((الرب من السماء)) (١ كو ١٥: ٤٧).
(يمكن الرجوع إلى كتابنا: سنوات مع أسئلة الناس ج٢ لقراءة المزيد عن هذه النقطة الخاصة بابن الإنسان)

شهادة نصوص كتابية

آيات كثيرة من الكتاب تثبت الطبيعة الواحدة:

١ - شهادة من الله الآب نفسه يقول عن يسوع الذي يعمده يوحنا المعمدان ((**هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت**)) (**متى ٣: ١٧**).
وطبعا لم يقل هذا ناسوت ابني، لأنه ناسوته غير منفصل عن لاهوته لحظة واحدة ولا طرفة عين.
وعبارة (هذا) لا تطلق على اثنين، بل على مفرد. وهنا تطلق على الطبيعة الواحدة التي للكلمة المتجسدة.

٢ - ونفس التعبير قاله القديس يوحنا المعمدان، إذ أشار إلى المسيح وقال ((هذا الذي قلت عنه **إن الذي يأتي بعدي صار قدامي، لأنه كان قبلي**)) (**يو١: ١٥، ٣٠**).
فكيف يكون بعده وقبله ؟ إنه بعده في الميلاد الجسدي، وقبله باللاهوت. ولكن المعمدان لا يفصل بين الناسوت واللاهوت، وإنما يقول (هذا) الذي أمامي (الكلمة المتجسد) كان قبلي. واضح هنا وحدة الطبيعة. إن الذي يعمده هو نفسه الذي كان قبله.

٣ - يقول القديس يوحنا الإنجيلي ((الله لم يره أحد قط. **الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبر**)) (**يو١: ١٨**).
والابن الوحيد هو الله الكلمة، الاقنوم الثاني، فكيف أنه أعطانا خبراً عن الآب ؟ لا شك حينما تجسد.
فهل الذي خبر هنا هو الناسوت ؟ إنه يقول عنه ((الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب)) بينما خبرنا ناسوته. وهذا دليل على وحدة الطبيعة.

***

٤ - ونفس الكلام يقوله نفس الرسول في رسالته الأولى ((الذي كان من البدء، الذي سمعناه الذي رأيناه الذي شاهدناه ولمسته أيدينا)) (١ يو ١: ١). وإنه يقول عن هذا الذي رأوه ولمسوه إنه الذي كان من البدء أي الله، فكيف رأوا الله ولمسوه ؟ ، إلا إن كان هو الكلمة المتجسد.
لأن الكلام هنا ليس عن الناسوت وحده ولا اللاهوت وحده. لأن الناسوت ما كان أزلياً منذ البدء، واللاهوت وحده لا يلمس بالأيدي.

***

٥ - وبنفس المعنى نأخذ حديث السيد المسيح مع الرجل الذي ولد أعمى ومنحه الرب البصر. إنه يسأل **من هو ابن الله**، فيقول له الرب ((قد رأيته. **والذي يتكلم معك هو هو**)) (**يو ٩: ٣٥ – ٣٧**).
وابن الله هو الله الكلمة أي اللاهوت. والذي يتكلم معه أهو الناسوت ؟ لا يمكن أن يكون الناسوت وحده لأنه يقول له إنه هو هو ابن الله. إذن فهو الله المتجسد، الذي ظهر في الجسد (١تي ٣: ١٦).

***

٦ - يقول القديس بولس الرسول عن بني إسرائيل حينما كانوا في برية سيناء ((وجميعهم شربوا شراباً واحداً روحياً، لأنهم **كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم، والصخرة كانت المسيح**)) (**١ كو ١٠: ٤**).
والمعروف أن بني إسرائيل هؤلاء، كانوا في برية سيناء قبل ميلاد المسيح بأربعة عشر قرناً. فكيف يكون معهم يرتوون منه ؟ إلا لو كان يتكلم عن الطبيعة اللاهوتية التي هي الله الكلمة. والله الكلمة لم

يصر اسمه المسيح إلا بتجسده. ولكن نظراً للطبيعة الواحدة، لم يستطع الرسول أن يفصل. فتكلم عن أزلية المسيح ووجوده قبل مولده.
ويتابع الرسول كلامه بنفس المعنى فيقول ((ولا تجرب المسيح كما جرب أناس منهم فأهلكتهم الحيات)) (١ كو ١٠: ٩).
٧- من الذي سجد له المجوس (متى ٢: ١١) ؟
هل سجدوا للاهوت وحده ؟ كلا، إنهم سجدوا لطفل في مزود وقدموا له هدايا. أم تراهم سجدوا للناسوت ؟ إن الناسوت لا تقدم له العبادة.
إذن لا جواب سوى أنهم سجدوا للإله المتجسد، كما سجد المولود أعمى فيما بعد.
وكما سجد الذي كانوا في السفينة لما انتهر الرب الرياح ومشي على الماء.
لقد سجدوا له ليس مجرد سجود احترام. وإنما ((جاءوا وسجدوا له قائلين: بالحقيقة أنت ابن الله)) مت ١٤: ٢٣).

***

٨- كذلك نسأل: من المتجسد.على الماء وانتهر الريح ؟ أهو اللاهوت أم الناسوت ؟ لا شك أنه الكلمة المتجسد.
وهكذا باقي المعجزات: من الذي كان يصنعها ؟ أهو اللاهوت وحده ؟
إذن ما معنى عبارة ((كان يضع يده على كل واحد فيشفيه)) (لو ٤: ٤٠). وما معنى أن نازفة الدم لمست هدب ثوبه فشفيت (مر ٥: ٢٩). وفي شفاء المولود أعمى، من الذي تفل على الأرض وصنع من التفل طيناً، وطلى بالطين عيني الأعمى (يو ٩: ٦). ؟
لا شك أن الذي صنع هذه المعجزات كلها وشبيهاتها كثيرات **هو السيد المسيح ((الكلمة المتجسد))** ويقول القديس يوحنا الإنجيلي ((**وآيات أخرى صنعها يسوع قدام تلاميذه** ولم تكتب في هذا الكتاب)) (يو ٢٠: ٣٠). لاحظ هنا عبارة (يسوع).
نكتفي بهذه الأمثلة الآن، لأننا لو تابعنا ما في الكتاب، فلن ندخل تحت حصر، لأن لغة الطبيعة الواحدة شاملة فيه.
لذلك ننتقل حالياً من الحديث عن الطبيعة الواحدة، إلى موضوع يتصل بها وهو المشيئة الواحدة.

المشيئة الواحدة والفعل الواحد

هل السيد المسيح له مشيئتان وفعلان، أي مشيئة إلهية ومشيئة بشرية. وفعلان أي فعل باللاهوت، وفعل بالناسوت ؟.
إننا الذين نستخدم تعبير طبيعة واحدة للكلمة المتجسد كما استخدمه من قبل القديس كيرلس الكبير:
نؤمن أن له مشيئة واحدة وفعل واحد.
وطبيعي أن ما دامت الطبيعة واحدة، تكون المشيئة واحدة، وبالتالي يكون الفعل واحداً. إن ما يختاره اللاهوت، لا شك أنه هو نفسه ما يختاره الناسوت، لأنه لا يوجد تناقض مطلقا بينهما في المشيئة والعمل.

***

والسيد المسيح قد قال ((طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأتمم عمله)) (يو ٤: ٣٤).
وهذا دليل على أن مشيئته هي مشيئة الآب. وقد قال عن نفسه في ذلك ((لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً إلا ما ينظر الآب يعمله. لأنه مهما عمل ذاك، فهذا يعمله الابن كذلك)) (يو٥: ١٩).

وهو لا يطلب لنفسه مشيئة خاصة غير مشيئة الآب، لذلك يقول ((لأني لا أطلب مشيئتي، بل مشيئة الذي أرسلني)) (يو ٥: ٣٠). وقال أيضاً ((نزلت من السماء، ليس لأعمل مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني)) (يو ٦: ٣٨).
واضح أن الآب والابن في الثالوث القدوس لهما مشيئة واحدة، لأنه قال ((أنا والآب واحد)) (يو ١٠: ٣٠).
وما دام هو واحداً معه في اللاهوت، فبالضرورة يكون واحداً معه في المشيئة. والابن كان في تجسده على الأرض ينفذ مشيئة الآب السماوي، إذن لابد كانت له ولناسوته مشيئة واحدة.
لأنه ما هي الخطيئة سوى أن تتعارض مشيئة الإنسان مع الله.
والسيد المسيح لم تكن فيه خطيئة البتة، حاشا... بل قال لليهود متحدياً ((من منكم يبكتني على خطية)) (يو ٨: ٤٦) وإذن كانت مشيئته هي مشيئة الآب.
***
إن البشر القديسين الكاملين في تصرفاتهم، يصلون إلى اتفاق كامل بين مشيئتهم ومشيئة الله: بحيث تكون مشيئتهم هي مشيئة الله، ومشيئة الله هي مشيئتهم.
وكما قال القديس بولس الرسول ((وأما نحن فلنا فكر المسيح)) (١ كو ٢: ١٦). ولم يقل صارت أفكارنا متمشية في فكر المسيح، بل لنا فكر المسيح. وهنا الوحدانية.
فإن كان قد قيل هذا مع الذين يعمل الرب معهم وفيهم، فكم بالأكثر تكون الوحدة بين الكلمة وناسوته في المشيئة والفكر والعمل، وهو الذي اتحد اللاهوت فيه بالناسوت اتحاداً أقنومياً جوهرياً ذاتياً، بغير افتراق، لم ينفصل عنه لحظة واحدة ولا طرفة عين...
***
إن لم تكن هناك وحدة بين لاهوت المسيح وناسوته في المشيئة، فعل يكون هناك تعارض إذن أو صراع داخلي ؟ ، حاشا . وكيف إذن يكون المسيح قدوة لنا ومثالاً، حتى كما سلك ذاك نسلك نحن أيضاً (١يو ٢: ٦).
البر الكامل الذي عاش فيه المسيح القدوس كان مشيئة ناسوته كما هو مشيئة لاهوته.
وكذلك كان خلاص البشر، أي الرسالة التي جاء من أجلها المسيح وقال ((ابن الإنسان قد جاء لكي يخلص ما قد هلك)) (متى ١٨: ١١). وهذه نفس مشيئة الآب الذي ((أحبنا وأرسل ابنه كفارة لخطايانا)) (١ يو ٤: ١٠). إذن فالصلب اختاره اللاهوت والناسوت. ولو لم تكن مشيئة واحدة، ما كان يقال أن المسيح مات بإرادته عنا.
وما دامت المشيئة واحدة، لابد أن يكون الفعل واحداً
وهنا لا نفرق بين الطبيعتين.

الاتفاقية المشتركة مع الكاثوليك

نؤمن أن ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، الكلمة (اللوجوس) المتجسد، هو كامل في لاهوته، وكامل في ناسوته. وأنه جعل ناسوته واحداً مع لاهوته، بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير. وأن لاهوته لم ينفصل عن ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين.
وفي نفس الوقت نحرم تعاليم كلٍ من نسطور و أوطاخي.

Agreed Statement on Christology

"We believe that our Lord, God and Saviour Jesus Christ, the Incarnated-Logos is perfect in His Divinity and perfect in His Humanity. He made His Humanity One with His Divinity without Mixture, nor Mingling, nor Confusion. His Divinity was not separated from His Humanity even for a moment or twinkling of an eye.

At the same time, we anathematize the Doctrines of both Nestorius and Eutyches"

www.RabElWagd.com

في هذا الكتاب

بسم الآب والابن والروح القدس
الإله الواحد آمين

هذا الكتاب يشرح لك عقيدة كنيستك القبطية في طبيعة المسيح، وكيف أنه طبيعة واحدة من طبيعتين متحدتين معاً بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير... لاهوت كامل وناسوت كامل، ولكن لا نتحدث عن طبيعتين بعد الاتحاد في بطن العذراء.

ما إثبات هذا من آيات الكتاب المقدس؟ وما مفهوم مثل اتحاد الحديد والنار، واتحاد النفس والجسد؟ وإثبات الطبيعة الواحدة من الآيات الخاصة بابن الإنسان؟

وما وحدة الطبيعة في الميلاد؟ ووحدة الطبيعة في الفداء؟

هذا ما يحدثك عنه كتابنا هذا... كما يحدثك عن المشيئة الواحدة.

البابا شنوده الثالث

الثمن ٧٠ قرش

مع تجلیات
www.Rabelmagd.com